الردُّ العتيد على مناوئ الدَّعوة السلفية العنيد![1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:
فإن هذه الشبهات التي يثيرها أعداء دعوة التوحيد أمثالك ليست بجديدة، بل هي امتداد لافتراءاتٍ تاريخية تولى كبرها خصوم الدعوة من الخرافيين وأهل الأهواء، وقد سلكوا فيها مسلك بتر النصوص، والجهل بالتاريخ، وتصديق الأكاذيب بلا بينة.
وبسلطان العلم، نرد على هذه التلبيسات بقوة الحجة ووضوح المحجة من خلال الوجوه التالية:

الوجه الأول: لا ارتباط بين تنظيمي داعش والقاعدة بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب!
إن القول بأن "داعش" نتاج الوهابية وأنهم تربوا على كتب ابن عبدالوهاب هو بهتان عظيم وجهل مركب. فقد قام المتخصصون باستقراء وتتبع كامل لمؤلفات وبيانات ومقالات تنظيم القاعدة وداعش وجماعات التكفير، ووجدوا أن أصولهم العقدية والتكفيرية لم تنشأ في نجد قط، بل انطلقت من أفكار خارجية المنشأ، وتحديداً من كتابات أبي الأعلى المودودي وسيد قطب، وفي محاضنها انشقت عن جماعة الإخوان المسلمين.
فدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب نشأت نشأة علمية على يد علماء راسخين، بينما نشأت تلك الجماعات على فكر الخوارج الدموي الهمجي الذي لا يعتمد على أصول علمية شرعية. ذلك أن شريعة داعش هي شريعة الخوارج الذين يكفرون بما ليس مكفرا شرعيا، والدولة السعودية وعلمائها يحاربون هؤلاء الخوارج انطلاقاً من الكتاب والسنة، ويعدونهم مفسدين في الأرض وخوارج العصر، وهذا كله تحصيل حاصل ولا يناقش فيه إلا من عدم حس الإنصاف والعدل.

الوجه الثاني: بطلان فرية استحلال الدماء وتكفير الخصوم (ابن فيروز، ابن عفالق، المويسي، وغيرهم)
زعمت أن الشيخ ابتدأ خصومه الحنابلة بالتكفير واستحل الدماء، والتاريخ يثبت عكس ذلك تماماً!

إن الذين ابتدؤوا بالتكفير واستحلال الدماء هم خصوم الشيخ؛ فسليمان بن سحيم، والمويسي، وابن عفالق، وابن فيروز هم من كفروا الشيخ محمد بن عبدالوهاب أولاً، ورموه بالإلحاد، واستحلوا دمه ودم أصحابه، وكاتبوا السلاطين لقتاله قبل أن يقع أي قتال؛ فأين أعداء التوحيد وأهله من أمثالك من هذا؟

ثم إن الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يبتدئ أحداً بالقتال ولا بالتكفير، بل كان مدافعاً، ولم يقاتل إلا بعد أن اعتدى خصومه وقتلوا دعاته (كما فعل دهام بن دواس وأمراء الإحساء حينما قتلوا المطاوعة -الدعاة-). أما التكفير عند الشيخ، فكان منضبطاً بضوابط الكتاب والسنة، فهو لم يكفر أحداً بمسألة خلافية، بل كفر من أجمع المسلمون على كفره (كمن يعبد القبور صراحة)، ولا يكفر المعين إلا بعد إقامة الحجة الرسالية.

الوجه الثالث: أما عن حقيقة مقولة الشيخ في علماء العارض ومفهوم "لا إله إلا الله"!

فنقول أن نتيجة تحصيلك في المسألة بسبب بتر نصوص الشيخ وفهمها بسوء نية وقصد والله يرد كيدك في نحرك بإذنه. ذلك أن الشيخ لم يتحدث عن كل علماء الإسلام، بل خصّ مقالته في "علماء العارض" (إقليم محدد في نجد)، وهم محيطه الذي عاش فيه.

أما قوله إنهم لم يعرفوا معنى "لا إله إلا الله"، فهو نقد دقيق لتأثر بعض هؤلاء بتفسير المتكلمين (الأشاعرة وغيرهم) الذين حصروا معنى التوحيد في "الربوبية" ففسروا الكلمة بـ (لا خالق إلا الله)، مما ترتب عليه خلل عظيم، وهو أن من يقر بأن الله هو الخالق لكنه يصرف الدعاء والذبح والاستغاثة للأموات يُعد موحداً عندهم!

هذا الخلل في فهم مقتضيات كلمة التوحيد (وهي إفراد الله بالعبادة والكفر بالطاغوت) ليس بدعاً من القول جاء به الشيخ، بل سبقه إليه أئمة الإسلام. فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن سريج الشافعي من قبله نفس المقالة نصاً عن المتكلمين المبتدعة: "لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله رسوله"، لأن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله هو الخالق ومع ذلك كانوا مشركين.

فإن كان هذا ما تنقمه على الإمام فهو حق لا مرية فيها وإن رغمت أنوف!

لا يستوي المبطل والمحق ... وفي نصوص القبض جاء الحق

وزهق الباطل إن الباطلَ ... كان زهوقاً فاترك الأباطلاَ.

الوجه الرابع: دحض كذبة التكفير بالعموم، وذكر: بلاد الشام والعراق ومصر واليمن أنموذجا!
وهذا من أعظم البهتان، فالشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يكفر بالعموم لا أهل الشام ولا مصر ولا العراق ولا اليمن قط بهذا الإطلاق، بل صرّح براءته من ذلك قائلاً كما في الدرر السنية وفي الرسائل الشخصية: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الوهاب، إلى من يصل إليه من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
وبعد: ما ذكر لكم عني: أني أكفر بالعموم، فهذا من بهتان الأعداء". وقال في موضع آخر: "أنا أكفر من عرف دين الرسول ثم بعد ما عرفه سبه... وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك".
وعلى هذا سائر أئمة الدعوة، بل: سئل أبناء الشيخ، وحمد بن ناصر، رحمهم الله: هل تعتقدون كفر أهل الأرض على الإطلاق؟ أم لا؟
فقالوا: (وأما تكفير أهل الأرض كلهم، فنحن نبرأ إلى الله من هذا، بل نعتقد أن أمة محمد ﷺ لا تجتمع على ضلالة، بل قد أجارها الله عن ذلك، على لسان نبيه محمد ﷺ).
وأما إن كان استشناعك على مجرد إطلاق وصف "بلد كفر" على بلد معين استحق ذلك، فهو وصف يتعلق بـ "الدولة عموما" فالناس تبع لحكامهم سلما وحربا والمظاهر غالبة (كما لو دانت دولة بالشرك الصراح)، ولا يستلزم ذلك إطلاقاً تكفير أعيان وأفراد المجتمع، إلا أنهم من جهة العموم لهم حكم حاكمهم.
فإن كانت الدولة التي تدين بالشرك وعبادة القبور وأقيمت الحجة على ولاتها وظهرت فيها شعائر الكفر المناقضة لملة إبراهيم فلا أدري ما بلاد الكفر عندكم!

الوجه الخامس: زيف فرية التناقض والارتباط بالأمريكان والبريطانيين!
دعوى أن حكام الدولة ربطوا أنفسهم بالبريطانيين أو الأمريكان وأن ذلك يمثل "موالاة مكفرة" أو جبناً، هي دعوى من لا يفقه السياسة الشرعية ولا التاريخ.
- أما تاريخياً: فتشهد وثائق الساسة البريطانيين أمثال (ديكسون وفيلبي) أن بريطانيا كانت دائماً تقف عقبة أمام الملك عبدالعزيز، ومنعت تمدده، بل وقصفت

الإخوان بالطائرات حماية لمصالحها في العراق والكويت، ولم يكن الملك عبدالعزيز صنيعة للإنجليز أبداً، وهذا الادعاء يتصادم مع المنطق والعقل، فهل تدعم بريطانيا دولة تقوم على التوحيد الخالص وهدم الشركيات؟! فإن حدث هذا فهذه مصيبة أخرى كيف تدافع دولة كافرة عن التوحيد الحق، وأنتم تصدون عنه وتناوئون أهله؟!

- أما شرعياً: فعقد المعاهدات والاتفاقيات مع الدول الكافرة (كأمريكا وغيرها) جلبا للمصالح ودرءاً للمفاسد، وعقدها لدافع دنيوي لا ديني= هو من صميم هدي النبي صلى الله عليه وسلم (كما في صلح الحديبية)، وهو ليس من "الموالاة المكفرة" أو "التولي" المحرم. الدولة تتعامل مع دول الكفر بعزة ومنطلق واضح مبني على الكتاب والسنة، وتعد العدة وتحمي الحرمين، بينما يتلون أهل البدع (كالإخوان المسلمين والأشاعرة الجهمية ومن لحقهم) ويداهنون الكفار في أصول الدين للوصول إلى السلطة.

الوجه السادس: بيان حقيقة ما شوشت حوله من كلام حول: "إخوان من طاع الله" وحصار المدينة المنورة!

أما ما يخص حركة "إخوان من طاع الله"، فقد كانت حركة عظيمة دعمها وأسسها الملك عبدالعزيز لتعليم البادية التوحيد ونقلهم من التناحر إلى الجهاد الشرعي، وكان لهم فضل عظيم في توحيد الجزيرة.

وحينما حاصروا المدينة المنورة لمدة عشرة أشهر بقيادة فيصل الدويش رحمه الله، لم يكن الملك عبدالعزيز هو من أمر بتجويع أهلها لدرجة أكل الجيف كما يزعم المرجفون، بل على العكس! لما اشتد الحصار، تدخل الملك عبدالعزيز شخصياً وصالح أهل المدينة على أن تسلم لأحد أبنائه حمايةً للمدينة وأهلها، ولم يسلمها للإخوان لتفادي أي تجاوزات.

أما "الانقلاب" المزعوم عليهم، فالحقيقة أن الملك عبدالعزيز لم يغدر بهم، بل إن بعض قادة الإخوان (كالدويش وابن بجاد) اجتهدوا وأصروا على الغزو وتجاوز الحدود العراقية (التي كانت تحت الانتداب البريطاني) متجاوزين بذلك المعاهدات التي أبرمها الإمام لحماية الدولة، ومخالفين أصل "السمع والطاعة" ومبدأ أن "الجهاد موكول إلى الإمام" بحسب ما أفتى به كبار علماء الدعوة ودلت عليه الأدلة الشرعية المرعية. ولما تطور الأمر ووقعت دماء معصومة، اضطر

الملك لحسم الأمر عسكرياً في معركة "السبلة"، لجمع الكلمة ودرء الفتنة العظيمة.

وخلاصة القول:
فدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هي امتداد لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم، قائمة على القرآن والسنة وتطهير الأرض من الشركيات. وكل ما يُنسب إليها من استباحة دماء المسلمين بغير حق، أو تكفير العوام، أو تشبيهها بتنظيمات الخوارج كداعش، هو محض كذب وافتراء روّجه أعداء التوحيد والمخرفون الذين أغاظهم هدم قبابهم الوثنية وانقطاع بدعهم. وكما قال العلماء الموحدون: "والحق أولى أن يجاب"، فدونكم كتب الشيخ وتلاميذه، فاقرؤوها بأنفسكم بعيداً عن أهواء الخصوم ووساوسهم.

والحمد لله رب العالمين.

آدم لمراني الأثري.

---

[1] أصل هذا المقال ردٌّ على تعليقٍ لأحد الجهال الضُّلاَّل، بثَّ فيه من الإرجاف والقول على الحق وأهله بغير علم ماله به عليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.